

في نشأة علم الأناسة عند المسلمين:

أبو الحسن علي المسعودي والرحلة لاكتشاف ومعرفة الآخر.

~~~~~ أ.د إبراهيم جدلة \*

مما لا شك فيه أن علم الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته حديث نسبياً حيث يرجع ظهوره في أوروبا إلى نهايات القرن الثامن عشر وخاصة خلال القرن التاسع عشر حين أصبحت الأنثروبولوجيا تدرس في الجامعات مع تعدد مراكز البحث وكراسي البحث الخاصة بها والتي أعطتها ذاتيتها كعلم مستقل من أهم العلوم الإنسانية. لكن في نفس الوقت لا يخفى علينا أن بؤادر البحث في الإنسان ودوره الحضاري وتصرفاته الاجتماعية قديمة جداً ولا أدل على ذلك ما كتبه اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) واللاتيني بلينيوس (القرن الأول بعد الميلاد) وخاصة ما كتبه بعض علماء المسلمين وأشهرهم على الإطلاق أبو الحسن علي المسعودي (ت 957/346هـ) الذي قام بالعديد من الرحلات إلى أصقاع مختلفة وترك لنا العديد من الكتابات أشهرها على الإطلاق: مروج الذهب ومعادن الجوهر (في أربعة مجلدات) والتنبيه والإشراف (مجلد واحد). وترخر هذه الكتابات بالمعلومات الطريفة والعلمية عن مختلف شعوب المعمورة في تلك الفترة وبالمعطيات الدقيقة عن عاداتها وتقاليدها ومظاهر حضارتها...وستتناول في هذا البحث المحاور التالية:

- شخصية أبي الحسن علي المسعودي وآثاره وطريقته في وصف المناطق التي زارها وحديثه عن العادات والتقاليد التي رصدها.

- الفكر العلمي والمنحى الأنثروبولوجي عند المسعودي .

- المسعودي وثقافات شرق آسيا: الصين والهند.

**المسعودي وطريقته في وصف المناطق التي زارها:**

**من هو المسعودي؟** هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي، نشأ ببغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة. ونحن لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط لكن باعتبار أن بداية رحلاته ترجع إلى سنة 301/914م نرجح أن ولادته كانت ببغداد على الأقل سنة 280/893م أي أنه شرع في تنقلاته وهو في بداية العقد الثالث من عمره أو أكثر من ذلك بقليل. وحسب ما

\* أستاذ التعليم العالي في التاريخ الوسيط، ومدير مختبر "النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط" - جامعة منوبة.

ذكره هو بنفسه خرج من بغداد سنة 301هـ/914م وقام برحلة أولى زار فيها بلاد فارس وكرمان ثم انتقل بعد ذلك في رحلة ثانية زار فيها بلاد الهند وصيدور وبعض المناطق الغربية من الصين وأخيراً في طريق عودته نجده يستقر لمدة وجيزة في مدينة بومباي وكان ذلك سنة 304هـ/917م. ويبدو أنه منذ ذلك الحين لم يستقر له قرار فقد زار عمان وسيلان وبلاد الأناضول ونجده في أخريات حياته بمصر حيث كتب "التنبيه والإشراف" سنة 345هـ/956م قبيل وفاته بقليل سنة 346هـ/957م وقد نبه إلى ما يمكن أن يصيب كتابه هذا من سهو أو خطأ قائلاً: "على أنا نعتذر من سهو إن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه من لحقته غفلة الإنسانية وسهوة البشرية ثم ما دفعنا إليه من طول الغربة وبُعد الدار وتواتر الأسفار طورا مشرقين وطورا مغربين..."<sup>1</sup>

كتب المسعودي ما لا يقل عن 34 كتاباً لم يصلنا منها إلا ثلاثة وهي: مروج الذهب والتنبيه والإشراف وجزء صغير من كتاب أخبار الزمان. وحسبما يظهر من كتاباته فقد كان ملماً بعلوم مختلفة مثل الفلك والجغرافيا والفلسفة والأدب والإخبار إضافة لمعرفته بلغات الشعوب التي زارها مثل الفارسية واليونانية والهندية والسريانية فهو كثيراً ما يعطينا تفسيرات لبعض المصطلحات المستعملة آنذاك من ذلك مثلاً حديثه عن تسمية الروم للعرب بـ: "سارقينوس" حيث يقول: "تفسير ذلك عبيد سارة طعنا منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وإنما كانت أمة لسارة ... والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب سارقينوس"<sup>2</sup>. وهو يعطينا فكرة واضحة عن مؤلفاته قائلاً: "ذكرنا في هذه الكتب الأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض والممالك والبر والبحر والقرون البائدة والأمم الحالية الدائرة الأكابر كالهند والصين والكلدانيين - وهم السريانيون - والعرب والفرس واليونانيين والروم وغيرهم، وتاريخ الأزمان الماضية والأجيال الحالية والأنبياء وذكر قصصهم وسير الملوك وسياساتهم ومساكن الأمم وتباينها في عبادتها، واختلافها في آرائها وصفة بحار العالم وابتدائها وانتهائها واتصال بعضها ببعض وما لا يتصل منها وما يظهر فيه المد والجزر..."<sup>3</sup>

وفي "مروج الذهب ومعادن الجوهر" يقول المسعودي: "ولم نترك نوعاً من العلوم ولا فناً من الأخبار ولا طريقة من الآثار إلاّ أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً أو ذكرناه مجملًا..."<sup>4</sup>، وهذا يعكس اهتمامه بالإنسان وما يحيط به إلى درجة تقترب كثيراً مما يقوم به الأنثروبولوجيون المعاصرون، خاصة أنه اهتم أساساً بوصف الجماعات والأفراد ومجال وكيفية عيشهم وطرق إنتاجهم. وكانت معلوماته في الكثير من الأحيان تعتمد على البحث الميداني والملاحظة المباشرة فهو

كثيراً ما يستعمل عبارة "وقد رأيت"، وأحياناً يستقي معلوماته بالسماع من خلال روايات يستقيها من ثقافة اتصل بهم.

**طريقة المسعودي في الكتابة وأسلوبه في الوصف:** قدّم المسعودي في كتاباته العديد من المعلومات الأنثروبولوجية المهمة عن شعوب المناطق التي زارها وذكر النباتات والكائنات الحية والأجناس البشرية والصفات الجسمية للسكان مع التأكيد على عاداتهم وتقاليدهم بخصوص المأكّل والمشرب والطقوس الخاصة بالاحتفالات والأفراح العامة والخاصة أو التي تخص المآتم والجنازات.

يعتبر المسعودي من أوائل العلماء المسلمين الذين حاولوا الربط بين المحيط الطبيعي والإنسان فهو يرى أن للهواء تأثير مباشر على تغير أحوال الحيوان والإنسان وتصرفاتهم وأخلاقهم. وقد استعمل هذه النظرية أثناء حديثه عن مختلف الشعوب والأقاليم، فعندما تحدث عن الأتراك قال: "لما استوى هواء بلادهم في البرد استوت صورهم وتشابهت... ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدتهم... وقد يكون ضعف الشهوة أيضاً لكثرة ركوب الخيل..."<sup>5</sup>

وأثناء حديثه عن الزنج يقول المسعودي: "ودواهم البقر وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل، ولا يعرفونها، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد... ومنهم أجناس محدّدة الأسنان يأكل بعضهم بعضاً"<sup>6</sup> وهو يصف سكان بلاد السودان عامة وهو ما يعبر عنه بأهل الربع الجنوبي كالزنج وسائر الأحابيش بقوله: "فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة فاسودّت ألوانهم واحمرّت أعينهم وتوحشت نفوسهم وذلك لالتهاب هوائهم... حتى احترقت ألوانهم وتفلقلت شعورهم..."<sup>7</sup>

وقد حاول المسعودي تطبيق هذه النظرية كلما تحدث عن شعب من الشعوب مثل الصقالبة والإفرنج والماغول الذين عبر عنهم بالترك الموغلين نحو الشمال وهو يفسر شكل هؤلاء قائلًا: "وغلبيت الرطوبة والبرودة على مساكنهم فاسترخت أجسامهم وغلظت ولانت فقرات ظهورهم وحرز أعناقهم... وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دماً كثيراً، واحمرّت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة وإظهارها"<sup>8</sup>. ومهما كانت صحة هذه المعلومات ومهما كان مدى إثباتها علمياً فإنها تعكس قدرة المسعودي على التأويل من جهة وتشبعه بروح

البحث من جهة أخرى فهو لا يورد الأخبار فقط بل يحاول دائما إعطاءنا تفسيرات ولو كانت تبدو غير منطقية أحيانا والأهم من كل ذلك أنه من العلماء القلائل الذين اهتموا مبكرا بالإنسان ومجال عيشه وكيفية تصرفه ولم يكن سيتأتى له ذلك لولا تشبعه بنفس علمي عميق لتفسير الظواهر الطبيعية والبشرية.

**الفكر العلمي والمنحى الأنثروبولوجي عند المسعودي:** من الملفت للانتباه أن المسعودي (الذي كما نعرف عاش في النصف الأول من القرن الرابع هجري) كان من أوائل علماء المسلمين الذين تحدثوا عن كروية الأرض ووجودها في مجرة تحكم فيها قوانين الجاذبية وتفسيره لحركة المد والجزر في البحار وحديثه عن النهار القطبي الذي يدوم ستة أشهر والليل القطبي الذي يدوم ستة أشهر أيضا...

ويؤكد المسعودي كروية الأرض دون تردد قائلا: "وأما الدلائل على أن السماء على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة، وأن كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالمرکز وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغرا..."<sup>9</sup> هذا التصور العلمي للكون جعله يقبل بكل سهولة فكرة وجود مواضع في الأرض (القطب الشمالي والقطب الجنوبي) تبقى فيها الشمس شهورا لا تغرب وتغيب عنها شهورا لا تطلع<sup>10</sup>. وفي هذا المجال العلمي يحاول المسعودي تقديم تفسير لظاهرة المد والجزر مقدما التفسير الميثولوجي المتداول عند عامة الناس وهو: "قول بعض أهل الشرائع إن المد والجزر من فعل ملك وكله الله عز وجل بذلك في أقاصي البحار، يضع رجله أو بعض أصابعه فيها فتمتلئ، فيكون المد، ثم يرفعها فيرجع الماء إلى موضعه فهو الجزر..."<sup>11</sup> غير أن المسعودي لا يقتنع بهذا التفسير الخرافي الذي يعتمد على أمر إلهي يصبح من الكفر تكذيبه فأضاف تفسيرا آخر يقترب أكثر من المسائل العلمية وقد أضاف قائلا: "وتنازع الأوائل في ذلك من فلاسفة الأمم وحكمائهم أهو من أفعال الشمس أم من أفعال القمر عند زيادة النور فيكون منه المد أم عند نقصانه فيكون الجزر".<sup>12</sup> هكذا قدم لنا صاحبنا تفسيرا قريبا مما نعرفه الآن وهو جاذبية القمر. وقد خصص صفحات كاملة لاستعراض مختلف التفسيرات لهذه الظاهرة التي اختلفت حولها شعوب البحر في المناطق التي زارها<sup>13</sup>.

وبصفة عامة كان المسعودي يربط دائما بين الموقع الطبيعي والشرط البيئي وظروف عيش الإنسان والحيوان من ذلك تأكيده على اختلاف هذه المجالات وتأثيرها على الأبدان ذاكرا ثلاثة

أسباب: "كمية المياه التي فيها وكمية الأشجار ومقدار ارتفاعها وانخفاضها"<sup>14</sup>. وقدم لنا الكثير من المعلومات حول النبات والحيوان والمياه التي تحدث بإطناب عن طعمها (العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريّف) كما ذكر خاصياتها الغذائية والعلاجية<sup>15</sup>. وفي علاقة الإنسان بالحيوان ذكر لنا المسعودي عدة أمثلة عن وضعيات التكامل والصراع بين الطرفين وهو يورد كل ما رآه طريفاً أو عجيباً أو غريباً وإن تعددت الأمثلة التي ذكرها فسنقتصر على مثالين فقط حول تعامل القرد مع الإنسان ومحاربة الإنسان للفيل من أجل استغلال أنيابه. يصف لنا رحلتنا نوعاً من القردة، في بعض المناطق الجبلية الهندية، منتصبه القامات مستديرة الوجه تشبه صورة الإنسان وهي في غاية الفهم لا ينقصها إلا النطق وهي تفهم بالإشارة حتى إن بعض الملوك علمها القيام على رؤوسها بالمذاب على موائدها، وقبل أن يأكل الملك يلقي للقرد من طعامه فإن أكله أكل الملك منه وإن اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه<sup>16</sup>. وفي مجال آخر يحدّثنا عن طريقة صيد الفيلة في بعض بلاد السودان حيث يستعمل السكان طريقة التخدير قبل قتل الفيل من أجل أنيابه وذلك بطرح نوع من ورق الشجر المعروف لديهم في الماء الذي سيشربه الفيل عند وروده " فإذا وردت وشربت من ذلك الماء حرقها وأسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا رُكب... فيقتلوها لأخذ أنيابها"<sup>17</sup>.

وتتعدد الإشارات والمعلومات من هذا القبيل في "مروج الذهب" وفي "التنبيه والإشراف" ولعلّ أكثرها طرافة ما اتصل بعادات وتقاليد سكان الصين وسكان الهند حيث أقام المسعودي مدة لا يستهان بها وحيث زار بعض مناطقها واطلع أثناء ذلك عن كتب على هذه المظاهر الحضارية والإنسانية التي تبدو غريبة عن الواقع الإسلامي الذي ينتمي إليه صاحبنا.

**المسعودي وثقافات شرق آسيا: الصين والهند:** على غرار مناهج الأنثروبولوجيين المعاصرين كان المسعودي بحكم تنقله من إقليم إلى آخر يحرص على ذكر الأجناس البشرية التي يتعرف عليها مع تأكيد في الكثير من الأحيان على صفات السكان الجسمانية دون إهمال ما يلفت انتباهه من عادات وتقاليد وطقوس دينية أو جنائزية واحتفالات...

يورد المسعودي ملاحظة هامة بخصوص الصينيين تنطبق عليهم إلى يومنا هذا وهي تم حذقهم الحرف ومهارتهم فيها وقد جاء على لسانه: "وأما أهل الصين فمن أحذق خلق الله كفاً بنقش وصنعة، وكل عمل لا يتقدّمهم فيه أحد من سائر الأمم. والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه..."<sup>18</sup>. وأثناء حديثه عن الحياة اليومية للصينيين سواء كانوا من العامة أو الخاصة فإنه لا

يهمل أي جانب فهو يفيدنا بأن زيجاتهم تتميز بكونها خارجية، فهم يتجنبون الزواج الداخلي (داخل السرة الواحدة أو العشيرة الواحدة): "وأهل الصين شعوب وقبائل ولا يتزوج أهل كل فخذ من فخذهم... ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية وأنه أصبح للبقاء وأتم للعمر..."<sup>19</sup> كما أنه يتحدث باستغراب عن بعض العوائد التي تحكى عن ملوكهم (وبالأحرى فهي هم أيضا بقية المجتمع بخاصته وعامته) "بأنهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لأنه داء يؤذي ولا يحتشمون في إظهارها..."<sup>20</sup> ويعطينا إثر ذلك العديد من التفسيرات العلمية لهذه الظاهرة التي نجدها في العديد من المجتمعات الأخرى وربما استغريها السعودي لأنها صادرة عن الملوك.

ويشارك الصينيون والهنود في العديد من المظاهر الحضارية كاستعمال العاج بكثرة في التماثيل وبيوت العبادة والأسلحة والشطرنج<sup>21</sup>. ويصف لنا السعودي معتقداتهم بإطناب قائلاً: "كان كثير من أهل الهند والصين... يعتقدون أن الله عز وجل جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صور البارئ عز وجل وبعضها على صور الملائكة..."<sup>22</sup>، ويفسر بعد ذلك كيف ظهرت الديانة البوذية قائلاً: "ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقرهم إلى الله وألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر "بوداسف" بأرض الهند... فتنبأ وزعم أنه رسول الله... وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة..."<sup>23</sup>.

ولم يكتف السعودي بإيراد هذه المعلومات بل أطنب في الحديث عن العادات الجنائزية مثل حرق الموتى، وإذا مات ملك من ملوك بعض مناطق الهند "حرق خلق من الناس انفسهم لموته ويدعون هؤلاء: البلاخرية وأحدهم بلاخري وتفسير ذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته"<sup>24</sup>. وفي بعض الجزر الهندية في بلاد سرنديب نجد عادات جنائزية فريدة من نوعها وطريقة في الآن نفسه، فالملك عندما يموت يوضع على عربة مجرورة قريبة من الأرض (صغيرة العجلة) ويكون رأسه نحو الأسفل وشعره ينجرّ على الأرض، وتأتي امرأة بيدها مكينة وتحثو التراب على رأسه وتنادي: "أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم حكمه، وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت... وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والترهيد في هذا العالم، ويطاف به في جميع شوارع المدينة، ثم يفصل أربع قطع، وقد هيأ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب، فيحرق بالنار ويذرّ رماده في الرياح وكذا فعل أكثر الهند. ملوكهم وخواصهم..."<sup>25</sup>.

وقد أورد المسعودي العديد من المعلومات العجيبة عن بعض الاحتفالات وعن بعض النباتات مثل ورق التنبول الذي يجعل الأسنان حمراء لأن الهنود يستقبحون الأسنان البيضاء<sup>26</sup> وعن اهتمامهم بالفيلة وتعظيمهم لها. والهند تشرف الفيل "لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة: من علو سمكه وعظم صورته... مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكتراه. بما وضع على ظهره..."<sup>27</sup> كما أنهم يستخرجون من عرق الفيل في فترة معينة نوع من الطيب يستعمله الملوك والخواص وله منافع حمة مثل النشاط والطرب وطلب الباه...<sup>28</sup>.

ولعل من أطرف ما أورده المسعودي عن بعض عادات سكان الهند قيام بعضهم بتعذيب نفسه بصفة إرادية ونحن لا نعرف هل هذا يدخل في إطار بعض مذاهبهم العقائدية التي تنادي بتعذيب النفس في الحياة الدنيا للحصول على الأجر في الحياة الآخرة أم أن هذا العمل غرضه التقرب من الملك الذي يعتبر ممثلاً للآلهة وبالتالي تكون عملية التعذيب الذاتي وكأنها ترمي إلى فداء الملك وتقبل الشر مكانه. يقول المسعودي: "ومنهم (أي بعض السكان من الهند) من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراق نفسه، فيدور في الأسواق وقد أجمعت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصنوج، وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه وحوله أهله وقربته وعلى رأسه إكليل من الريحان وقد قشر جلده عن رأسه وعليها الجمر والكبريت والسندروس، فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تفوح وهو يعضغ ورق التنبول وحب الفوفل... ففيهم من إذا اشرف على النار صارت جمرًا كاللث العظم يتناول بيده خنجرا- ويدعى الجريء عندهم- فيضعه في لبتة..."<sup>29</sup>.

كان المسعودي شاهد عيان على نوع من هذه الممارسات وذلك في سنة 304/917م عندما أقام ببلاد صيمور من بلاد الهند. ومن الغريب مما جاء على لسانه في هذه الشهادة لأحداث عاشها في هذه المناطق أن بعض المسلمين كانوا يقومون بهذه العمال وكأن الغرض من ذلك هو إبراز شجاعتهم وعدم خوفهم من النار ولا الموت. يفيدنا المسعودي أنه يوجد بصيمور حوالي عشرة آلاف مسلم: سيرايفين وعمانيين وبصريين وبغداديين إضافة إلى مجموعة تعرف بالبأسرة ومفردها بيسر وهم الذين ولدوا من المسلمين بارض الهند وقد رأى أحد فتيانهم يقوم بعملية قتل نفسه على الطريقة التي تم ذكرها. يقول كاتبنا: "فرايت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده

فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار<sup>30</sup>.

نحن لا نشكك هنا في كلام المسعودي لأنه كان شاهد عيان لما ذكره ووصفه لكن من حقنا أن نتساءل عن أهداف وأبعاد هذه الممارسات التي أقل ما يقال عنها أنه وحشية وشديدة الشراسة، هل يرجع ذلك إلى دوافع دينية وعقائدية؟ أم يعود ذلك إلى موضة اجتماعية تسعى إلى إبراز جانب القوة والفتوة لدى بعض الأفراد في إطار تنافس بين المجموعات؟ في الحقيقة تصعب الإجابة الجازمة على هذه الأسئلة خاصة أن المسعودي لم يسع إلى تقديم تفسيرات مقنعة حول هذه الظاهرة الغريبة لكن يمكن أن نتلمس بعض الافتراضات المنطقية اعتماداً على ما جاء في هذه الروايات. قبل كل شيء يمكن أن ندحض العامل الديني العقائدي باعتبار اشتراك المسلمين مع الهندوس في هذه الظاهرة، يبقى القاسم المشترك لدى سكان المنطقة وهو العامل الثقافي الحضاري الذي يتقاسمه الجميع مثل علاقة الهنود بالنار من جهة وعلاقتهم بالموت من جهة أخرى. لذلك يمكن الرجوع على مفهوم التضحية مع تساؤلنا: من أجل من؟ إضافة إلى ذلك يمكن استغلال عبارات المسعودي الأخيرة: "تھاونا بالموت ولذة بالنقلة" حيث يمكن تأويل ذلك بأن المقدم على ذلك العمل يريد إبراز استخفافه بالموت وشجاعته لكن يشوبه اعتقاد أن نقلته إلى الدنيا الآخرة لها مغزى ورسالة وإلا فغن أية لذة يمكن الحديث. يغلب على الظن أن هذه الممارسات هي جزء لا يتجزأ من الثقافات الهندية القديمة وهذه الطقوس لها قواعدها الخاصة ويتعاطاها البعض الذين يريدون إثبات فتوهم مستعنيين ببعض المواد المخدرة لأن الشاب المقدم على حرق نفسه يقوم بذلك وهو يمضغ ورق التبوت وحب الفوفل كما رأينا وهذه النباتات تخدر الإنسان وتجعله لا يحس بتاتا بالألم وربما تجعل عقله في حالة تتساوى فيها الأضداد والموت والحياة...

هذه بعض عينات مما أورده المسعودي في كتاباته بعد أن قام برحلاته شرقاً وغرباً كما ذكر هو ذلك، وهي تنم عما كان يتمتع به من دقة ملاحظة وتقبيده لما أثار تعجبه واستغرابه في هذه المجتمعات. وكان لا يكتفي بالوصف بل يحاول أحياناً التفسير والتأويل من منطلق كونه قادماً من مجتمع آخر وهذا التمشي يذكرنا بما يقوم به الأنثروبولوجيون حالياً مع بعض الاختلافات طبعا فهؤلاء يعتمدون قواعد واساليب علمية محددة مسبقاً ومتفق عليها أكاديمياً على المستوى الكوني لكن المسعودي كان مجرد رحالة اجتهد بأن ينقل إلى معاصريه ما خفي عنهم في أصقاع أخرى وهو لا يقل قيمة عما يقوم به علماء الأناسة اليوم فقد كان المسعودي عالم عصره.

خاتمة: جاء المسعودي في فترة مبكرة وكان من أوائل علماء المسلمين الذين جابوا أقاليم واسعة وبعيدة من العالم، ورغم كونه كان في الصل إخباريا فلم يقتصر عمله على كتابة التاريخ الإسلامي فقط بل اهتم بوصف شعوب المناطق التي زارها وأعطانا فكرة واضحة عن معتقداتها وعاداتها وممارساتها اليومية الخاصة بالعيش والتعايش في ظل مجموعات تختلف درجات تطورها من إقليم إلى آخر. وهو لم يستثن أمة من الأمم المعاصرة له بإضافة للصينيين والهنود والسودان تحدث عن الصقلية والروس والروم والإفرنج والجلالقة والأترار والماغول... ومن الإضافات الهامة التي جاء بها المسعودي وأثرى بها الفكر الإسلامي والفكر الإنساني عموما أنه لم يتحدث عن الإنسان فقط بصفة مجردة بل أورد الكثير من المعلومات عن الاحتفالات مثل: النوروز<sup>31</sup> والمهرجان<sup>32</sup> وعن الشطرنج وعن عجائب من النبات والحيوان وتطرق أيضا إلى بعض عجائب الدنيا مثل الأهرامات<sup>33</sup> أو منارة الإسكندرية<sup>34</sup>. وكانت أوصافه ومعلوماته وتأويلاته أقرب إلى المناهج العلمية منها إلى التأويلات الميثولوجية التي كانت سائدة في تلك الفترة.

وقد ظهر بعد المسعودي العديد من العلماء المسلمين الذين حذوا حذوه في الكتابة بخصوص عجائب الحضارات مثل القزويني صاحب كتاب "عجائب المخلوقات" أو ابن بطوطة صاحب الرحلة المشهورة، لكن أي منهما لم يرتق إلى مستوى كتابة المسعودي وأسلوبه وطريقته في تقديم المعلومات. وكانت كتابتهما في الكثير من الأحيان بعيدة عن الواقع وتغلب عليها الصبغة الميثولوجية والخرافية فهي بذلك تفتقد إلى المنحى العلمي الذي ميّز ما قام به المسعودي، وهذا الأخير يبقى رائدا في علم الأناسنة عند المسلمين ولو اتبع بقية العلماء خطاه لما أبدعوا في ذلك ولما أضافوا الكثير إلى الحركة العلمية الإنسانية.

#### الهوامش:

- 1- التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1981، ص 22 --- 2- ن م، ص 159 --- 3- ن م، ص 17.
- 4- أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1948، ج 1، ص 18.
- 5- ن م، ج 2، 231.
- 6- ن م، ج 2، 6 --- 7- التنبيه والإشراف، ص 38 --- 8- ن م، ص 38 --- 9- مروج الذهب، ج 2، ص 215.
- 10- ن م، ج 2، ص 215 --- 11- التنبيه والإشراف، ص 78 --- 12- ن م، ص 78.
- 13- مروج الذهب، ج 1، ص 113-117 --- 14- ن م، ص 42 --- 15- مروج الذهب، ج 2، ص 27-28.
- 16- ن م، ج 1، 196 --- 17- ن م، ج 2، 6 --- 18- مروج الذهب، ج 1، ص 146.
- 19- ن م، ج 1، 137 --- 20- ن م، ج 1، 173 --- 21- ن م، ج 2، 7.
- 22- ن م، ج 2، 236 --- 23- ن م، ج 2، 237 --- 24- ن م، ج 1، 211.
- 25- ن م، ج 1، 83-84 --- 26- ن م، ج 1، 210 --- 27- ن م، ج 2، 13.
- 28- ن م، ج 2، 29 --- 29- ن م، ج 1، 210-209 --- 30- ن م، ج 1، 210.
- 31- مروج الذهب، ج 1، 223 --- 32- ن م، ج 1، 224 ج 2، ص 197.
- 33- ن م، ج 1، 350 --- 34- ن م، ج 1، 375.

**Abstract: The genesis of islamic anthropology: Masoudi and the voyage to do discover and to recognize the other:** *Abu Hassan Ali al-Masoudi (d.346/957) is considered the most famous muslim traveler and has left many books, we got them two important: "Murū al-ahab" and "al-Tanbīh wal Iṣrāf". Despite the fact that we consider him as historian above all, what distinguishes his writings not tell, but what he narrated about his observations in the areas and regions where he had visited China and India, Central Asia, Anatolia and Armenia in addition to the arabic countries (Iraq, Syria, Oman, Yemen and Egypt). Masoudi as interested groups and nations along the lines of what he is doing now, where anthropologists describe us in detail the physical features of these and tried to explain the differences in color or shape of natural and environmental factors.*

*He also tried to give us a clear idea of their customs and traditions concerning the celebrations, funerals ways of life and clothing and food with customization on things that seem strange or weird or rare. Masoudi was one of the first Muslim scholars who wrote in these areas so we are not exaggerating when we consider him a pioneer of anthropology. In this presentation I will address the following points:*

- 1- *Masoudi and his style in the description of the areas visited.*
- 2- *Masoudi Scientific thought and his anthropologic orientation.*
- 3- *Masoudi and the cultures of East Asia: China and India.*